د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي

## حوار مع المفكر الدكتور أحمد عيساوي

# قراءة في الخطاب البياني لمسيرة الحضارة الإسلامية

احتوشت الصحوة الإسلامية في الجزائر خلال العشريتين الأخيرتين الكثير من الصعاب والعراقيل، مما جعل منجزات الدعوة والعمل الإسلامي تتراجع بخطوات سريعة، بل إن المجتمع نفسه تغيرت تصوراته عن العاملين في الحقل الدعوي الإسلامي، وسبب ذلك واضح لدى الغالبية من الناس فضلا عن أهل الفكر والوعي، إنه ببساطة غياب التأهيل لدى الدعاة والقائمين بشؤون التربية والتوجيه والدعوة، وسيطرة النزعة الارتجالية، على الجهود التي تبذل ميدانيا، يضاف إلى ذلك ما حدث من صدام وفتنة نتيجة قلة العلم الشرعي، وضعف التجربة العملية، وشدة الاستقطاب السياسي القائم على الشعاراتية المزيفة، المجانفة للوعي والمنطق والرشاد، ودليل ذلك نزوع معظم العاملين في الحقل الفكري والدعوي والتربوي باتجاه العمل السياسي والحزبي... بيد أن هذه المعاناة / المأساة أسفرت -ولله الحمد والمنة- عن ميلاد مرحلة جديدة وانطلاقة واعدة، يميزها بروز جيل جديد من الدعاة والمفكرين، استفادوا من أخطاء ومآسي المرحلة السابقة، وتشوفوا لرسم آفاق ومعالم مرحلة مغايرة قوامها تصحيح ما علق في أذهان بعض الناس عن الدعوة والدعاة وأساليب التغيير والترشيد، ومن بين تلك الوجوه الجديدة الأستاذ الدكتور أحمد محمود عيساوي، الكاتب الإسلامي المعروف والأستاذ المحاضر بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة باتنة / الجزائر.. وهو من كتاب مجلة الوعي الإسلامي الغراء، وله كم كبير من المؤلفات المطبوعة والمعدة للطبع، إلى جانب إسهاماته القلمية على صفحات الكثير من المجلات والدوريات الفكرية والإسلامية الرصينة، وكذا المداخلات والمشاركات في العديد من المنابر الخطابية والملتقيات والمنتديات.. ونحن -باسم مجلة «الوعي الإسلامي» نشكره ونثني عليه لاستجابته الكريمة، وقبوله الإجابة عن أسئلة هذه المقابلة الفكرية الخاصة بمجلة «الوعي الإسلامي» الغراء وقرائها الأوفياء... فإلى المقابلة..

**• المطلع على دراساتكم ومؤلفاتكم المطبوعة ومقالاتكم المنشورة يلاحظ التركيز على موضوعات الإصلاح والحركات الإصلاحية والدعوة والبلاغ.. فما دلالة ذلك في خطابكم الفكري؟**

- قضيت زمنا معتبرا من دراستي في قراءة وتفكيك وتحليل وفهم المرتكزات الأساسية للخط البياني لمسيرة الحضارة الإسلامية، لحظة انطلاقتها على يد رسول الله ﷺ بمعية صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عبر دائرية المحلية التي تميزت بعاطفية ودفء الخطاب، فالإقليمية التي تميزت بالمزاوجة بين حرارة الوجدان وأنوار العقل والبيان، فالعالمية التي ارتقت بهما ليصنعا خطابا رائدا للإنسانية التائهة يومها، ثم انكفاء هذا الخط وانكماشه وضموره بفعل الاستج
المفرطة لعالم الغرائز والأهو
وفشله في إعادة استنهاض الأ
المشلولة، السادرة في سباتها العمي
وتبينت مجموعة من المعالم الأساس
المخبوءة في أبجديات هذا الخ
البياني، ذات الصلة الوثيقة بطب
ومناخ كل مرحلة، وبنوعية النوام
والسنن الضابطة لأدبيات كل مرح
ما عمق في خطابي الفكري والمع

الخاص بي منحى معرفيا ومنهجيا صحيحا وسليما، قادني بشكل مباشر ودقيق وتلقائي لإعادة استلهام قوانين الإحياء والشهود الحضاري من مظانها المرجعية القاطعة، المعبرة عن تباينات مسيرة الخطوط البيانية للمجتمعات الإنسانية عبر مختلف النماذج المطروقة في الدرس القرآني الاعتباري، المستفيض في القصص القرآني، وعبر تطبيقاته العملية في المسيرة التاريخية. وتبين لي من تلك العودة الواعية لالتهام مواطن الاعتبار في القصص القرآني معالم النهوض وسنن الشهود، ومعالم الانكماش وسنن التداعي والانهيار. وذلك من خلال القراءة التراكمية والأفقية والعمودية لمسيرة هذا الخط البياني. وانكببت على تلك المعالم الاعتبارية المتميزة في عمل المصلحين والدعاة، فوجدتها مجرد استلهامات وتشوفات ومحاولات إيمانية صادقة لمحاكاة منهج المصلحين الأوائل من الأنبياء والمرسلين الذين مهروا عملهم الرسالي بصدق وإخلاص وصبر، كما شهد لهم المولى تبارك وتعالى، وامتدحهم مثنيا على جهودهم الدعوية والرسالية في إعادة إحياء الأمم الموات. فنبي الله نوح عليه الصلاة والسلام امتدح الله جهده الدعوي، وأثنى عليه وسماه ﴿عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٣)، ونبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام نعته بأنه ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود:٧٥)، وألقى عليه التحية والبركات إلى يوم الدين فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (الصافات:١٠٩)، كما ألقى التحية والبركات على موسى وهارون فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الصافات:١٢٠)، وكذلك الأمر على آل ياسين فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ (الصافات:١٣٠)، وأثنى أيضا على

أنبيائه يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ونعتهم بأنهم من الصالحين، وأنبياء الله يونس وأيوب وإلياس واليسع وياسين عليهم الصلاة والسلام من المصطفين الأخيار، وأنبياء الله زكريا ويحي وعيسى عليهم الصلاة والسلام ممن هدينا واجتبينا، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام وصف خلقه العظيم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). وهكذا فجل المقاربات الإصلاحية والتغييرية في الخط البياني مجرد استلهام واستعبار لعمل المصلحين الأوائل من الأنبياء والمرسلين، الذين اختزل المولى تبارك وتعالى رسالتهم في حديثه عن وظيفة نبينا محمد ﷺ في دعاء أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢). فوظيفتهم عليهم الصلاة والسلام لخصها المولى تبارك وتعالى في (التلاوة، والتعليم، والتزكية)، وهي أدق مسالك الإصلاح الصحيح، وهي آليات النهضة الحقيقية. وهي المنهج الأمثل في التغيير والإصلاح والنهوض دون سائر المناهج، فقال تعالى مبينا ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الصافات:١٧١-١٧٣). كما قادتني رحلتي العلمية تلك للتعمق في دراسة بعض المصطلحات القرآنية، ذات الصلة بعمليتي النهوض والشهود الحضاري، ولاسيما مصطلحات (الإصلاح، التغيير، التعليم، التلاوة، التزكية)، الذي هو صميم عمل الأنبياء والمرسلين، فتبين أنه عملية خاصة، يقوم بها النماذج الفريدة بالاستناد إلى الأطر المقدسة لإعادة الفرد والمجتمع إلى الالتزام بمناطات

عهد أبينا آدم الأول الذي قطعه على نفسه وذريته.

ومن هنا فقد أدركت بالقراءة التدبرية والاعتبارية العميقة في سنن التغيير والنهوض والسقوط القرآنية، والتي هي صميم عمل الأنبياء والمرسلين وسائر المصلحين، فسعيت بما أوتيت من وسيلة للذب عن الإسلام بالمنهج الصحيح والأمثل، ومن هنا تلحظ هذه الظاهرة بارزة في كل نشاطاتي ومجهوداتي الدعوية المسموعة والمكتوبة الفردية والجمعية والجماهيرية، وهي في اعتقادي منهج وعمل العلماء المهتدين من عدول هذه الأمة.

**• لقد ثبت أن نصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف نحوي يفسد اللسان، ونصف فقيه يفسد الأديان.. في ضوء هذه المقولة/ الحكمة.. ما السبيل لإيجاد الداعية المثقف المسلم المعاصر ذي الوعي المتكامل والثقافة الموسوعية، والنظرة الثاقبة للوقائع والنوازل ومعضلات الحياة المتجددة؟**

- لابد لنا في البداية من أن نحدد مفهوم الدعوة بدقة، ومفهوم الداعية الحقيقي والصادق في ضوء الزخم الذي يشوش المشهد الدعوي، لأنه من غير فهم حقيقي لهما لا نستطيع البتة تلمس السبيل الصحيح لتكوين وإعداد الداعية المثقف المعاصر والرسالي. فالدعوة إلى الله، وإلى دينه: علم، وفن، وموهبة، وتقانة، وتقوى، وإخلاص. هكذا كانت منذ البدء، وهكذا انتظمت معالمها على يد سيد الدعاة محمد ﷺ، وهكذا توضحت طرقها القيمية، ومسالكها النموذجية، ومحدداتها الشرعية، وفنياتها وتقنياتها السنية، خلال سنين الدعوة والمكابدة في مكة المكرمة، وسنين بناء الدولة، وتشييد

## السبيل الصحيح لتكوين وإعداد الداعية المثقف المعاصر

أركان الكيان السياسي والاجتماعي في المدينة المنورة.

والدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الإسلام علم له أصوله وقواعده وضوابطه، مؤسس في معالم التنزيل السماوي، المختزلة بشفافية ودقة ووضوح لممارسات الأنبياء والمرسلين، وفي معالم السنة المطهرة المجسدة في تطبيقات وحياة سيرة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، التي تبيناها ماثلة وحية في سائر مجالات حياته مع صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. والدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الإسلام فن له خصائصه ومميزاته ومحدداته الخاصة به، في القول والإشارة والحركة والإيماءة والنظرة والتوجه، لا يستطيع خوضها غير الداعية المتمكن الموهوب. وهي تقانة أيضا، إذ الدعوة إلى الله شبكة معقدة من الممارسات والعلاقات القيمية والدينية والأخلاقية والتقنية، المحكومة بجملة من الأطر والقواعد الضابطة لمسيرة العملية الدعوية، ضمن دوائر التفاعل الإنساني الطبيعية الزمانية والمكانية والكيانية والإمكانية. لا يستطيعها غير المؤيد بنقاء السريرة، وصفاء البصيرة، وطهر الطوية.

وهي عملية اتصال قيمية ومعيارية بالآخر، محرارها مقام التقوى الرفيع أيضا، إذ تؤمن حرارة التقوى وفاعليتها ودفء روحانيتها الوجدانية أرضية الأسس والقواعد الخلقية والعقدية والنفسية لنجاحها وقبولها من لدن رب العزة أولا، كما تضمن النجاح والتوفيق للقائمين بها، أنبياء كانوا، أم دعاة، أم من عدول الأمة ثانيا. وهي أيضا إخلاص، حيث يوفر ركن الإخلاص مناخا ملائما ونقيا -مع ركن التقوى- لصيانة سير ونجاح وفاعلية العملية الدعوية، بدءا من القائم بالدعوة أولا، ومرورا بوسائلها وأساليبها وتقنياتها ومواردها ثانيا، ووصولا إلى جمهور المدعوين المستقبلين ثالثا. فالدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الإسلام -كما قررنا آنفا- علم، وفن، وموهبة، وتقانة، وتقوى، وإخلاص.

وعلى هذا الأساس تكون الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام عبارة عن مجموعة من العمليات المعقدة والمتشابكة والمتراكبة الجوانب والأبعاد، تحكمها مستويات ثلاثة، لا يمكن للدارس أو للقائم بالعمل الدعوي أن يفهم كلياتها أو جزئياتها أو تأثيراتها، إلا ضمن هذه المستويات الثلاثة. وهي مستوى العلم والتقانة بأبعاده وقواعده، ومستوى الفن والموهبة بأبعاده وقواعده أيضا، ومستوى الوجدانيات الروحية بأبعاده ومجالاته الرحبة وقواعده.

وكل مستوى من هذه المستويات يعد بمنزلة ركن رئيس في العملية الدعوية، لا يمكن بأي حال من الأحوال -على الدارس أو القائم بالدعوة- تجاوزه، أو إهماله، أو الإعراض عنه، مهما كانت الأسباب.

وتأسيسا من هذه المنطلقات الروحية الصرفة لهذه العملية الشريفة والمتميزة منطلقا وممارسة وغاية، والتي يماثل ممارسها والقائم بها أعمال الأنبياء والمرسلين خلال توجهاته نحو الآخر، وهو يحمل إليه خطاب الله تعالى الخاص بشؤون حياته الدنيوية والأخروية. يجب على المنخرطين في هذا المعراج النبوي استكمال كافة العدة التكوينية والتأطيرية والرياضية

والنفسية والعلمية، ليضمن رفع المسؤولية التبليغية الملقاة على عاتقه، ودفع الحرج الدعوي عنه. وهو السعي المأمول والأسمى الذي لمسناه من خلال ارتياداتنا لمجهودات رجال العمل الإسلامي في مختلف عصور العمل الإسلامي القديمة والحديثة.

ولعل رجل العمل الإسلامي اليوم أكثر وعيا وإدراكا لخطورة هذه المهمة الرسالية من غيره، في عصر اتسم بالاحتباس الدعوي، حد الاختناق المفضي للقتل، والذي مبعثه -للأسف- غشاشات العمى التي يطفح بها رزايا الإرجاف والهوى من صميم الصف الدعوي الإسلامي، الوارث لجينات التخلف والتعصب من عصر ما بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب والخلافة العباسية في بغداد. بالإضافة إلى عملية الخنق والوأد الاتصالي الذي تمارسه مختلف قوى الاستكبار والكيد والتآمر العالمية والمحلية على مختلف الأصعدة، لتغييب صوت الحق الدعوي الأصيل عن ساحة الحياة، وواقع العيش والناس.

وقد يكون الخلط الدعوي الذي تشهده الساحة الإسلامية على مستوى الفهم والإدراك المقصدي، وعلى مستوى محددات المنهج الأمثل للتبليغ الرسالي الأفضل للتعاليم الإسلامية، أفرز لنا غشاشات حجبت الرؤية الصحيحة والواضحة عن منهج العمل الإسلامي الرشيد، ما عكر صفو التناغم الدعوي بين سائر أطياف العمل الإسلامي المتناحرة اليوم على جمهور من المدعوين المرهقين بسيول التناوش الثقافي والإعلامي والدعائي الهجين، الوارد عليه كل ثانية، من مختلف المشارب والمناهج العاتية، المنسجمة في خاصية قلع جذور الإيمان منه، ما يجعل الخطاب الدعوي للدعاة نسيما رقيقا أمام عواصف الصقيع النووي لخطابات الإرجاف والردة.

وهنا وجب على القائمين بعملية الاتصال الدعوية في العالمين العربي والإسلامي أن يعيدوا اختبار أنفسهم بأنفسهم، بواسطة محرار الإيمان، واستشعار بيانه الروحي والوجداني، بما يفرزه مؤشر الرسالية السنية لهم، عبر مختلف البيانات الوجدانية الدافئة، فإن وجدوا مؤشر المحرار توقف عند درجة حرارة الإيمان، ورقم روح الإخلاص، وبيان صدق التوجه في العملية الدعوية، فعليهم الاستمرار وتقديم المزيد من الجهد، وإن وجدوا عكس ذلك، فالبقاء في بيوتهم خير لضمان حسن الخاتمة. فقد سكن عبدالله بن المبارك الكوفة في بيت وضيع، بعد أن كان وجيها بمرو، وله دار طول حديقتها خمسون ذراعا وعرضها خمسون ذراعا، والناس يأتونه للخدمة والتحية طيلة اليوم والليلة، فقال له نصر مولاه، يا سيدي: لماذا هذا التواري والتنكر والغوص؟ فقال له: ذلك أزكى لقلوبنا. ومن هنا وجب التذكير بأهمية مراجعة الداعية لمحددات عملية الاتصال الدعوي في نفسه بشكل دوري ومستمر ليطلع على نتائج درجات التبليغ والتأثير والفاعلية، وإلا فبيته خير له من منافسة مجالس الأنبياء والمرسلين، وهو فاقد لأدبيات المقام... هكذا أفهم الدعوة، وهكذا أفهم الداعية، وهكذا أفقه أدبيات إعداده وتكوينه الأمثل.

## اختلاط بعض المفاهيم الإسلامية بالغربية

**● يشهد الواقع الإسلامي المعاصر اضطرابا خطيرا في منظومة المفاهيم، مثل الخلط بين مفهوم (الجهاد والإرهاب)، (التطرف والاعتدال)، (الغلو والوسطية)، (التقليد، واللامذهبية)، الخصوصية الحضارية والمشترك الإنساني العام).. إلخ.. فكيف يمكن للمفكرين والدعاة الإسهام في تحرير هذه المفاهيم وإزالة الغموض عنها؟**

- تنوعت أشكال الاتصال والتدافع الحضاري بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية الوثنية خلال قرون تدافعهما، وأخذتا في تدافعاتهما الحضارية تلك جملة من التمظهرات المختلفة، حتمت في نهاية المطاف وفي أواخر العصر الحديث إلى إعجاب وافتتان الكثير من المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين بها، وبخاصة الذين درسوا في الجامعات الغربية.

كما أدى إعجابهم إلى إدخال الكثير من المصطلحات الفكرية والأدبية والعلمية من الثقافة الغربية إلى الأدبيات الفكرية والثقافية العربية والإسلامية، وإحلالها موازية لمثيلاتها في حقل الأدبيات الفكرية والثقافية الإسلامية. وبذلك فقد وفرت لها فرصة التمكين الثنائي مع المصطلحات المحلية، مما أدى إلى حصول نوع من التوأمة بينهما في سياقات وأنساق متوازية، وحلت مصطلحات (الوطن والقطر) محل (دار الإسلام)، و(العالم الأوربوي ثم الغربي) محل (دار الكفر «المحاربون» أو «المسالمون» أو دار الحرب والكفر) و(المواطن) محل (المسلم أو المؤمن)، و(الشعب) محل (الرعية)، و(البرلمان) محل (مجلس الشورى)، و(الثورة والانتفاضة) محل (الجهاد) وهكذا تمت عملية التجاور المصطلحي.